خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

٦ من ذي القعدة ١٤٣٦ هـ / ٢١ من آب ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة، ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عز وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في محكم التنزيل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

معاشر السادة: إن الله وهب نعمة الحياة للإنسان، وجعل حياطتها كلّاً وجزءاً وصيانتها مادةً ومعنىً في طليعة الأهداف التي أبرزها الدين، وتحدث الرسل فيها مبشرين ومنذرين.

إن القرآن الكريم يعد إزهاق الروح جريمة ضد الإنسانية كلها، ويعدُّ إنقاذها من الهلاك نعمةً على الإنسانية كلها، حيث قال سبحانه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

إن الأديان السماوية تُحب إشاعة الطمأنينة التامة في المجتمع، بحيث ينال الإنسان نَصيباً موفوراً من طمأنينة الحياة واستقرارها، في جبل الزيتون الواقع شرقي بيت المقدس وقف السيد المسيح عليه السلام يبعث صيحاته الواحدة تلوَ الأخرى مُنذراً جموع اليهود بقوله: ((يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء، وراجمة المرسلين إليها، كم مَرَّة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة أفراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا، هو ذا بيتكم يُترك لكم خراباً)) ونقرأ هذا الحوار في إنجيل يوحنا: ((قال اليهود للمسيح:

أبونا هو إبراهيم، قال لهم اليسوع: لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تَعملون أعمال إبراهيم، ولكنكم تطلبون قتلي وهذا ليس عمل إبراهيم، أنتم من أب آخر هو إبليس)).

فعيسى عليه السلام يعلم البشرية عامة واليهود خاصة أن الإنسانية الحقة هي التي تتواصى بالصبر والمرحمة وتقيم تقاليدها على البر والمواساة، ومحمدٌ ﷺ في هذا الموقف شبيه بعيسى عليه الصلاة والسلام، حين وقف في حجة الوداع يخاطب الأجيال بقوله: ((إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا)).

إن أصداء هذه الصيحات الحانية الحذرة لا تَزال ترن في الآذان والأفئدة تُبقي صبغة القداسة على دم الإنسان وماله وعرضه، وتجعل المحافظة على حق الحياة في مستواها الأعلى، متصلة بعنوان الإسلام وحقيقته: ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)).

وقد اعتبر الإسلام الجماعة مسؤولة عن حماية هذا الحق، ماذا يحدث إذا حاول البعض إهدار ما كفله الدِّين للفرد من طمأنينة وكرامة؟.

إن الدولة بلا ريب هي المسؤولة الأولى عن حماية القانون، لكن الدولة ليست حاضرة في كل مكان وزمان لتحقيق هذه الغاية، ومِن هنا وجب على الجماعة أن تتعاون بينها لشد أزر من يُعتدى عليه والوقوف بجانبه حتى يتم استنقاذه مما يراد له.

إن خذلان المسلم شيء عظيم، وهو إن حدث سيقضي على صفات الإباء والشهامة بينهم، وسوف ينزوي المظلوم بعيداً، وتنقطع عُرى الأخوة بينه وبين من خذلوه، وقد هان المسلمون أفراداً وهانوا أمماً يَوم وهنت أواصر الأخوة بينهم، ونظر أحدهم إلى الآخر نظرة استغراب وتنكر، وأصبح الأخ يحتقر أخاه ويمضي لشأنه كأن الأمر لا يعنيه.

إن هذا التخاذل جَرَّ على المسلمين الذل والعار، وقد حاربه الإسلام حرباً شعواء، ولعن من يقبعون في ظلاله الداكنة الزرية، فقد روى الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يَقفنّ أحدكم موقفاً يُضرب فيه رجل ظلماً، فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه)) ماذا صنع المسلمون؟ هل تلاوتهم لآيات البر وأحاديث الرحمة تُغني فتيلاً أو تطعم من جوع أو تأمن من خوف؟ إنه لا بد من جهاد جماعي مُكثف مُتصل حتى يمكن إغاثة الملهوفين وتأمين حياتهم وحماية أموالهم وأعراضهم.

إن الفِكر البليد والقلب القاسي أَخصر طريق إلى الضياع والعار والنار، روى ابن الجوزي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه دخل على عائشة ﵂ فقال: يا أم المؤمنين، أرأيت الرجل يَقل قيامه ويكثر رقاده، وآخر يَكثر قيامه ويقل رقاده، أيهما أحب إليك؟ قالت: سَألتُ رسولَ الله كما سألتني، فأجابني: ((أحسنهما عقلاً)) فقلت: يا رسول الله، إنما أسألك عن عبادتهما، فقال: ((يا عائشة، إنهما لا يُسألان عن عبادتهما، إنهما يُسألان عن عقولهما، فمن كان أعقل كان أفضل في الدنيا والآخرة))، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الرجل ليكون من أهل الصيام وأهل الصلاة وأهل الحج وأهل الجهاد، فما يُجزى يوم القيامة إلا بقدر عقله)) وكأن إِسلامنا يريد أن يقول لنا: إن المسلم الكامل رجل نيّر الذهن والقلب معاً، حادُّ البصر والبصير جميعاً، تتعانق فكرته وعاطفته في معاملته لله ومعاملته للناس.

يا سادة: إن المرء يتجاوب مع معاني الخير والشر الطارئة عليه من الخارج، كما يتجاوب جهاز الاستقبال مع الموجات الطوال أو القصار التي ترسل إليه، فحسب وضعه وانضباط آلاته على جهة معينة تَكون طبيعة الإذاعة التي تصدر عنه، كذلك الإنسان إذا طابت نفسه أو خَبُثَت، إنه في الحالة الأولى يَحيا في جَوٍّ مِن الخير تنحسر دونه موجات الإثم والعصيان، وذاك ما أشار القرآن الكريم بقوله عن

الشيطان: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠].

أما في الحالة الثانية فإن الإنسان يَستجيب لدواعي الجريمة التي تُلِحُّ عليه وتَسوقه إلى مصير كئيب، وذاك ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا * فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٣-٨٤]، وتوضيحاً لهاتين الآيتين ذَكر لنا ربنا ﷻ في سورة الكهف قِصةً التقى فيها كبرياء الإيمان بكبرياء الطغيان، كلاهما يُمثِّل فِكرة خاصة بنى عليها حياته وأقام عليها وجوده، هذا يَعتز بما أوتي من مال وجاه، ويجعل منهما أساساً للعلو في الأرض والغطرسة على الناس، وذلك يَعتز بما أوتي من خلقٍ وإيمان، ويرفض كل سيادة للباطل ويُحَقِّر المواهب الإنسانية ويُنكر مقاييس المواهب والكفايات، ووقعت معركة الكلام بين الرجلين، قال الرجل الفقير لخصمه المترف: لو أنك إذا أردت أن تَفخر علي وقلت: أنا خير منك عملاً وأعزّ خلقاً بَدل أن تقول: أنا خيرٌ منك مالاً وأعزُّ نفراً لربما استحق الأمر تفكيراً مني واهتماماً بك، أما وأنت تُؤسس عظمتك الموهومة على هَبَاء فهيهات أن أعترف بها، ولقد جاءك أكثر هذا المال كما يَجيء أمثالك من القاعدين على غير ذكاء أو عزيمة ماضية، فما غبرت في تحصيله قدماً ولا أعملت في تأسيسه يداً، ولا واسيت من كنوزه ضعيفاً، ولا قضيت من خزائنه حقاً، وحبذا لو جعلت من مالك وجاهك وسائل لكسب المعالي وصنع المعروف وإفادة الناس، أما أن يأتيك المال مِن غير تعب ولا مشقة وتقول: وِرثه كابراً عن كابر، ثم تستخدمه في إطفاء شهواتك وإغراء نزواتك، فإن هذا لن يعرضك إلا لسخط الله، ولن يعرض مالك هذا إلا لمحق السماء، فرد عليه الرجل المغرور قائلاً: إنكم -أيها السوقة- مِن معدن غير معدننا نَحن الكبراء، ولَئِن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً، وفي نهاية المطاف خَسر نفسه وماله وجاهه، وخسر جنته

التي قال عنها يوماً: ما أظن أن تبيد هذه أبداً، لقد أشرك مع الله نفسه، وقصد بماله وجاهه إذلال البلاد وحرق العباد.

معاشر السادة: هل نظر أحدنا أو تفكر؟ هل تفكرت أيها الانسان؟ هل أنت تستقبل موجات الرحمن أم تستقبل موجات الشيطان؟ فكم من تاجر أهداه الله مَالاً فسخره في طريق الخراب والدمار وتشريد الناس مِن بيوتهم وبلدانهم، وكم مِن تاجر أهداه الله مالاً فسخره في طريق الخير والبر ومواساة الآخرين، وفي نفس الوقت، كم مِن تاجر حُرم من التنعم بماله ورزقه، وترك وطنه هارباً مِن جريمة الخطف التي تلاحقه من أجل ماله، وفي حلب الشهباء منذ فترة قليلة رأينا كيف تم إلقاء القبض على أفراد مجموعة قاموا بخطف شاب ثم قتله بصورة بشعة من أجل الحصول على المال، فهل بعد هذا وذاك -يا سادة- يَقف حراس المجتمع مَكتوفي الأيدي أم تتعاون الأمة كلها على زرع الخير واقتلاع الشر؟.

في الشهر الخامس من هذا العام رأينا كلباً مات مدافعاً عن صاحبه، وذلك عندما قام رجال البوليس في أمريكا باختطاف صاحبه لأنه مِن العرق الأسود، أُفزع الكلب مما رأى -انتبه أيها المسلم، اسمع أيها العربي، اسمعوا يا دعاة الحرية، يا مَن قتلتم ودمرتم وخطفتم، تعلموا الوفاء من صفة الكلب، تعلموا حَقن الدِّماء من هذا الكلب- أُفزع الكلب مما رأى، فراح يَنبح في وجه العنصرية والظلم مُناصراً صاحبه، فما كان من رجال البوليس إلا أن أطلقوا عليه النار.

معاشر السادة: ما يَجري في سورية مِن خطف وقتل وخراب ودمار أَمرٌ يَفرض على كل مواطن شريف على كل مواطن يؤمن بالله ﷻ أن يقف وقفة حق لكي يحقن الدماء، لكي يَصون أبناء مُجتمعه، متى كانت صفة الخطف من أخلاق العرب؟ إن "أليزابيث" ملكة إنكلترا هي التي علمت هذه الأمة الخطف والقتل، إن الأوروبيين هم أول مَن قاموا بهذه الصفة الخسيسة الدنيئة، ومع الأسف العرب والمسلمون لا يَتعلمون من الغرب إلا كل قبيحة، أما ما يُفيدهم وينهض بهم علمياً ومادياً

وأخلاقياً وسلوكياً فإنهم لا ينظرون إليه أبداً، هل صفة القتل والخطف مِن أجل المال ومن أجل الرذيلة والفاحشة هي من صفات السوريين؟ هي من صفات العروبة؟ هي من أخلاق الإسلام والمسيحية؟ فلماذا لا نَجد حُرَّاساً للمجتمع في كل حَيٍّ وفي كل قرية وفي كل مدينة؟ لماذا لا نرى أناساً يَتصفون بالغيرة، ويعملون على حقن الدماء، ويَعملون على صيانة الأموال وأصحابها، يَعملون على صيانة القيم وأهلها؟ لماذا؟ ما هذا الحال الذي وصلنا إليه؟ في الوقت كلنا يَطلب وكلنا يقول: أين الأمن وأين الاستقرار؟ أجهلت أيها المواطن؟ أجهلت أيها العربي؟ أجهلت أيها المسلم أنك أنت الذي تصنع الأمن، وأنك أنت الذي يصنع الاستقرار، وأنك أنت الذي تعمل على حقن الدماء؟ ولكن عندما تكون صاحب قلب يَقظ يخاف الله وشأنه وهمه أن يحقن دماء الآخرين.

معاشر السادة: واجب على كل غيور في هذا الوطن أن يَعمل مع الصادقين المخلصين لزرع الأمن والأمان والاستقرار في ربوع هذا الوطن الحبيب ومحاربة الفاسدين والمجرمين، الذين يعملون على ترويع الناس، الذين يلاحقون الأغنياء من أجل خطفهم من أجل الحصول على المال، الذين يعملون على انتهاك الأعراض، واجب علينا جميعاً ديننا عقيدتنا شريعتنا أخلاقنا تفرض علينا أن نقف جميعاً في خندق واحد، حتى أصون حياتك وتصون حياتي، وحتى أصون عرضك وتصون عرضي، وحتى أحفظ وأصون مالك وتحفظ وتصون مالي، وإلا إذا اتبعنا سياسة القَطيع وأسلوب القطيع في الحياة فهيهات أن ننعم بالأمن والاستقرار الذي نَنشده جميعاً.

إن إسلامنا ومسيحيتنا يَطلبون منا أن نفعل الخير، واجب على كل من يؤمن بالله ويحب الله ﷻ أن يَعمل على حقن الدماء، أن يكون مفتاحاً للخير والعطاء في المجتمع، ولا يكون مفتاحاً للشر والفساد والرذيلة في المجتمع، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانـــية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا وشفاء صدورنا ونور أبصارنا، وذهاب همنا وحزننا وغمنا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، اللهم إنا نسألك أن تكون معيناً وناصراً لهم في السهول والجبال والوديان، اللهم إنا نسألك أن تثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تسدد أهدافهم ورميهم، وأن تكون لهم معيناً وناصراً، اللهم إنا نسألك أن تنصر المقاومة اللبنانية، اللهم إنا نسألك أن تكون لهم معيناً وناصراً، وأن تهيئ لهم أسباب النصر والخير يا رب العالمين، اللهم وفق السيد الرئيس القائد المؤمن بشار الأسد إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، واجعله بشارة خير ونصر للأمة العربية والإسلامية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

مديرية أوقاف دمشق